الفصل الثالث والعشرون

غزوتا حُنَين والطائف:

المبحث الأول: غزوة حنين.

أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح (تسعة عشر يوما)[1] حتى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بحنين يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا له قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة، أخذوا في الاستعداد وحشد القوات لمواجهته[2]، وقبل أن يهاجمها، وقد أرادوها موقعة حاسمة، ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لا يفر أحدهم ويترك أهله وماله. وكان يقودهم مالك بن عَوف النصري، واستنفروا معهم غطفان وغيرها[3]. وممن جمعهم ابن عوف: بنو نصر - قومه - وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر وجماعات متفرقة من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر، وثقيف كلها في أحلافها، وبنو مالك[4]، وتخلف عنهم من هوزان كعب وكلاب[5].

---

(١) هذه الجزئية من رواية البخاري/ الفتح (١٦/١٣٢/ح ٤٢٩٨ و ٤٢٩٩)، أما رواية الطبري المذكورة في الخبر فهي أن مدة إقامته «نصف شهر، لم يزد على ذلك» وما في الصحيح أصح.

(٢) إلى هنا من رواية الطبري في تاريخه (٣/ ٧٠) بإسناد مرسل موقوف على عروة، وله شاهد من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، كما ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، وفيه أن حنينا واد إلى جنب ذي المجاز. وزاد الحافظ في تعريف حنين أنه قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات. (الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح ترجمة باب غزوة حنين) وزاد النووي أنه واد بين مكة والطائف وراء عرفات (شرحه على مسلم ١٢/ ١١٣/ ك. الجهاد/ ب. غزوة حنين) وقال حمد الجاسر إنها تبعد عن مكة عشرين كيلا شرقيها وتعرف الآن بالشرائع - (انظر تعليقه على كتاب المناسك للحربي، وفؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٤٧١).

(٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٢/ح ٤٣٣٧)، مسلم (٢/ ٧٣٥/ح ١٠٥٩).

(٤) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، ومن حديث جابر، وإسناده حسن - ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، والحاكم (٣/ ٤٨) وصححه ووافقه الذهبي، ومن روايته معلقا، كما في سيرة ابن هشام (٤/ ١١٤). وقد استوعبت هاتان الروايتان رواية الطبري والبخاري ومسلم وفيها زيادات كثيرة.

(٥) من رواية ابن إسحاق - معلقا كما في سيرة ابن هشام (٤/ ١١٤) ومن روايته بإسناد حسن من حديث جابر كما نقله عنه الذهبي في مغازيه، ص٥٧٣.

وخرج على رأس بني جُشَم يومذاك دُرَيْد بن الصِّمَّة، وكان شيخا كبيرا، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه، لأنه كان شيخا مجربا عارفا بالحرب، فأنكر على مالك النصري الخروج بالنساء والأطفال والأموال، إذ يرى أن المنهزم لا يرده شيء، فلم يعمل مالك برأى دريد. وقال دريد في شأن غياب كعب وكلاب: «غاب الحد والجد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب...» وذكرت له أقوال أخرى تدل على تجربته في الحروب وتوقعه الهزيمة لقومه، لأن الرأي كان لمالك، وهو صغير السن - ٣٠ سنة - غير مجرب، بل اتهم مالك دريداً بأنه كبر وقل علمه، وأقسم على هوزان بأن تطيعه هو وإلا انتحر، فأطاعوه، فأمرهم أن يكسروا جفون سيوفهم إذا رأوا المسلمين، ثم يشدوا شدة رجل واحد(٦).

وكانت خطة مالك في الحرب أن رتب جيشه في صفوف حسنة، وقدم الخيل ثم الرجالة ثم النساء ثم الأغنام ثم الإبل(٧)، وقد بلغ جيشه عشرين ألفا(٨)، فسار بهم إلى الرسول ﷺ.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن أبي حَدْرَد الأسلمي ليأتيهم ويدخل فيهم ويعلمه خبرهم، فجاءهم ومكث فيهم يوما أو اثنين، ونقل خبرهم إلى الرسول ﷺ(٩).

ولعل هذا الخبر الذي نقله ابن أبي حدرد إلى الرسول ﷺ هو الذي تبسم له الرسول ﷺ وعلق عليه بقوله «تلك غنيمة المسلمين غدا - إن شاء الله». وذلك عندما اقتربوا من العدو(١٠).

---

(٦) انظر: المصدرين والمكانين نفسيهما.

(٧) مسلم (٢/ ٧٣٦/ح ١٠٥٩).

(٨) الواقدي (٢/ ٨٩٣).

(٩) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، من حديث جابر، بإسناد حسن، انظر: مغازي الذهبي ص ٥٧١ - ٥٧٢ والحاكم (٣/ ٤٨) وصححه ووافقه الذهبي وعنده أن المرسل هو عبدالرحمن ابن أبي حدرد.

(١٠) من رواية أبي داود بإسناد حسن كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح ترجمة الباب) وعنده أن الرجل المرسل هو عبدالله بن أبي حدرد كما في حديث ابن إسحاق. وانظر حديث أبي داود في سننه (٣/ ٢٠ - ٢١/ ك. الجهاد/ ب. في فضل الحرس في سبيل الله/ح ٢٥٠١)، وهو حديث صحيح الإسناد.

وبعد جمع المعلومات العسكرية المطلوبة استعد الرسول ﷺ لمواجهتهم، فاستعار من يَعْلَى بن أمية ثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً [أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك][11] واستعار مائة درع من صَفْوَان بن أمية [وكان من المؤلفة قلوبهم] وأعادها إليه بعد غزوة حنين، وشكره على ذلك[12]. ويروى أنه استقرض من حُوَيْطِب بن عبدالعُزَّى أربعين ألف درهم[13]، وتقبل معونة قدرها ثلاثة آلاف رمح من نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب[14].

وبعد أن أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوما[15]، خرج إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها في عاشره[16] واستعمل عَتَّاب بن أَسِيْد بن أبي العيص أميرا على مكة[17].

---

(١١) انظر ترجمته في الاستيعاب (٣/ ٦٦١ - ٦٦٥) والإصابة (٣/ ٦٦٨). وروى خبر الإعارة: أبوداود: السنن (٢/ ١٤٦/ ك. البيوع/ ب. تضمين العارية. وذكر الزيلعي في نصب الراية أن ممن رواه أيضا النسائي وابن حبان في صحيحه في النوع الحادي عشر، من القسم الرابع، ثم قال: «قال عبدالحق في «أحكامه» حديث يعلى بن أمية أصح من حديث صفوان بن أمية...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان. انظر نصب الراية (.../١١٧) وقال صاحب الجوهر النقي في شرح السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٩٠) عن هذا الخبر: «قال ابن حزم: حديث حسن ليس في شيء مما روى في العارية خبر يصح غيره، وأما ما سواه فليس يساوي الاشتغال به...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان بن أمية، انظر، ابن حزم: المحلى (٩/ ١٧٣). وانظر تخريجه في الإرواء (٥/ ٣٤٨ - ٣٩) وقد صحح الألباني إسناده من سياق ورواية أبي داود عن طريق همام عن قتادة به عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى عن أبيه.

(١٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: رواها الذهبي في المغازي ص٥٧٢، والحاكم (٣/ ٤٩) وصححها ووافقها الذهبي، وقد ورد الحديث بطرق أخرى ضعيفة، ولكن بعضها يقوى بشاهده مع ما تقدم من الموصول الصحيح. وانظرها في سنن البيهقي (٦/ ٨٩ - ٩٠) حيث رواها من طرقها الضعيفة، ورواها بإسناد ابن إسحاق الحسن المذكور، وفي إرواء الغليل (٥/ ٣٤٤ - ٤٤٦/ ك. العارية).

(١٣) الاستيعاب (١/ ٣٨٥) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٤) الاستيعاب (٣/ ٥٣٧) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٢/ح ٤٢٩٨، ٤٢٩٩).

(١٦) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح حديث ترجمة الباب). والبيهقي: السنن الكبرى (٣/ ١٥١)، والنسائي: السنن (٣/ ١٠٠).

(١٧) أخرجه ابن حجر: الإصابة (٢/ ٤٥١) من رواية الطيالسي، والبخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٥٤) وفيه أيوب بن عبدالله بن يسار - سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٩) وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٢/ ٢٥١)، وقال ابن حجر: «وإسناده حسن»، وابن خياط في تاريخه ص٨٨ بإسنادين أحدهما من مرسل الزهري والثاني بإسناد متصل ولكنه ضعيف لضعف عبدالله بن يعلى. وعموما فإن الأحاديث الواردة في تولية عتاب أميرا على مكة ضعيفة لكن مجموعها يتقوى بعضه ببعض ولذلك حسن ابن حجر الحديث لما له من الشواهد، وكذلك حسنه الألباني لذات السبب كما في تعليقه على أحاديث فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٣.

==

وقد ثبت في الصحيحين[18] أن الطلقاء قد خرجوا معه إلى حنين، دون تحديد لعددهم، وقال أهل المغازي إنه خرج معه ألفان من أهل مكة ـ الطلقاء ـ مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه لفتح مكة، فأصبحوا اثنى عشر ألفا[19]، وهو أكبر جيش إسلامي يخرج في حياة الرسول ﷺ إلى ذلك الحين، ولهذا ساد شعور عند بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، وعبر أحدهم[20] عن هذا الشعور جهرة، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فعاتبهم القرآن وذكرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده، وإلا وكلهم على أنفسهم، ولقنهم درسا بليغا في هذا الشأن، فقال تعالى ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾[21][22] وحكى لهم الرسول ﷺ قصة

==

انظر دراسة الدكتور قريبي في رسالته للدكتوراه: «مرويات غزوة حنين،» ص ص ١٦٠ ـ ١٦٥، وانظر: ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١١٧ ـ ١١٨)، والحاكم (٣/ ٥٩٥) والطبري في التاريخ (٣/ ٧٧)، وهي روايات تصلح للاستدلال التاريخي، لأنها لا تخالف قواعد الإسلام العامة.... انظر: قريبي، والعمري: المجتمع ـ الجهاد، ص ١٩٧.

(١٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧٠/ح ٤٣٣٣)، مسلم (٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦/ح ١٠٥٩) وانظر: أحمد المسند (٣/ ١٥٧، ١٩٠).

(١٩) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١١٨)، وابن إسحاق مرسلا عن الزهري، وقد صرح بالتحديث كما في مغازي الذهبي، ص ٥٧٢، وابن خياط في تاريخه، والحاكم (٢/ ١٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وأعله الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٦) لوجود عبدالله بن عياض، الذي لم يوثقه أحد، البخاري: التاريخ الكبير (٤/ ١٩) وفيه عبدالله بن عياض، والطبري في تاريخه (٣/ ٧٣) من حديث ابن إسحاق، مرسلا وقد عنعنه وفيه ابن حميد وهو ضعيف، والواقدي (٣/ ٨٨٩) بأساتيده عن شيوخه ومنهم الثقة والضعيف، ولكنه لم يميز حديث كل واحد منهم، وابن سعد (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥). وعموما فإن الروايات بهذا الشأن ضعيفة حديثيا، حسب تخريج الدكتور قريبي (١٦٦ ـ ١٧٦) وتكفي لاعتمادها تاريخيا، كما توصل إلى ذلك الدكتور قريبي، ص ١٧٦ وشيخه الدكتور العمري: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ١٩٧.

(٢٠) قيل إن القائل سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل العباس، وقيل أبوبكر، وقيل رسول الله ﷺ وقيل رجل من بكر وقيل غلام من الأنصار. انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٩٠)، والهيثمي في كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) وابن إسحاق ـ ابن هشام (٤/ ١٢٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٢٣)... إلخ. وكلها روايات ضعيفة كما ذكر المحققون، وتتفق في شيء واحد وهو حصول هذا القول من أحد أفراد الجيش المسلم، وهي بمجموعها يؤيد بعضها بعضا ويزيدها قوة قوله تعالى: ﴿ويوم حنين... الآية﴾ وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤١٤) وتفسير الطبري (١٠/ ١٠٠) ومحمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد صادق عرجون (٤/ ٣٦٧ ـ ٣٧٠) والدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص ص ٢١٠ ـ ٢١٩).

(٢١) التوبة: ٢٥.

(٢٢) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٢٣) بإسناد ضعيف، ورواه غيره بإسناد ضعيف ولكن يشهد له ويقويه الآية ووضوح معناها وإشارتها إلى أصل القصة زمانا ومكانا.

نبي أعجبته كثرة أمته فسلط الله عليهم الموت[٢٣].

وعندما اقترب الرسول ﷺ من حنين وحضرتهم صلاة العشاء أمر أحد الصحابة بمراقبة العدو من فوق أحد الجبال المطلة على وادي حنين، فأدى الصحابي المهمة، ونقل إلى الرسول ﷺ خبرهم، وأنهم قد خرجوا بظعنهم ونعمهم وشائهم واجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غدا ـ إن شاء الله تعالى» وعندما حانت ساعة النوم تطوع أنس بن أبي مَرْثَد الغَنَوي بحراستهم إلى الفجر، فأثنى عليه النبي ﷺ ووعده بالجنة[٢٤].

وفي الطريق إلى حنين رأى بعض الطلقاء شجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم تعرف بذات أنواط، فقالوا: «يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾[٢٥]، والذي نفسي بيده لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم[٢٦]» وفي هذا دليل على أن قلوب هؤلاء لم تتشرب الإسلام بعد لحداثة عهدهم به، بل روى أن ثمانين من الطلقاء قد خرجوا وهم على الكفر[٢٧]، وإذا كان الحال كذلك فلا غرابة من أن يعبر كَلَدة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية لأمه، وهو أحد الطلقاء، عن فرحته بإدبار المسلمين في الجولة الأولى قائلا: ألا بطل السحر اليوم!! فقال له أخوه صفوان ـ وهو على شركه آنذاك ـ اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني[٢٨] رجل من قريش أحب

---

(٢٣) سنن الدارمي (٥/ ١٣٥)، مسند أحمد (٤/ ٣٣٣) و (٦/ ١٦).

(٢٤) أبوداود: السنن (١/ ٢١٠) و (٢/ ٩) من حديث سهل بن الحنظلية بإسناد صحيح، سبق ذكر حكم ابن حجر عليه.

(٢٥) الأعراف: ١٣٨.

(٢٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ١٢٠ ـ ١٢١)، ورواه من طريقه الترمذي: السنن (٦/ ٣٤٣ ـ ك. الفتن/ ب. لتركبن سنن من كان قبلكم/ح ٢٢٨١) ـ واللفظ له ـ وقال: «حسن صحيح» ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٣٥). ورواه من غير طريق ابن إسحاق: أحمد في المسند (٥/ ٢١٨) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٢٥) بمثل رواية أحمد، وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن ص ٤٥٤.

(٢٧) القسطلاني: المواهب اللدنية (١/ ١٦٢) والزرقاني في شرحه عليه (٣/ ٥) من طريق ضعيفة.

(٢٨) أي يكون لي ربا ـ أي ملكا على.

إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوزان[٢٩]!!، وكان يقف زعماء مكة خلف الجيش ينظرون لمن تكون الدائرة، منهم: أبوسفيان وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام[٣٠]. وكان صفوان في المؤخرة ويرسل غلاما له ليأتيه بالأخبار من المقدمة[٣١].

وعندما انهزم المسلمون في الجولة الأولى كان أبوسفيان ينظر إليهم، وهو يحمل الأزلام، ويقول: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر»[٣٢].

بادرت هوزان إلى حنين، فأدخلوا جيشهم بالليل في الوادي، وفرقوا كمناءهم في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم قائدهم أمره بأن يرشقوا المسلمين بالسهام عند دخولهم وادي حنين المنحدر، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد[٣٣]، وشجعهم بأن المسلمين لم يلقوا من قبل مثلهم في الشجاعة والعدة والعدد والدراية بالحرب[٣٤].

وعبأ رسول الله ﷺ جيشه بالسحر، وعقد الألوية والرايات، ورتب الجند في هيئة صفوف منتظمة[٣٥]، واستقبل بجيشه وادي حنين في عماية الصبح، وانحدروا فيه[٣٦]، تتقدمهم على المجنبة الخيالة بقيادة خالد بن الوليد[٣٧] وفي طليعتها بنو سليم منذ خروجه من مكة[٣٨].

وعند دخول المسلمين الوادي حملوا على هَوَزان فانكشفوا، فأكب المسلمون على ما تركوه من غنائم، وبينما هم على هذه الحال، استقبلتهم هوزان

---

(٢٩) الهيثمي: المجمع (٦/ ١٧٩ - ١٨٠) وقال: «رواه أحمد وأبويعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية أبي يعلى»، وابن حبان في صحيحه، كما في الموارد ص ٤١٧ والطبري في التاريخ (٣/ ١٢٨) وكلاهما من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٣٠) من رواية موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري - مرسلا - ورواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، كما في البداية والنهاية (٤/ ٣٦٨).

(٣١) من رواية عروة المذكورة.

(٣٢) من رواية ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٢٢) والواقدي (٣/ ٩١٠).

(٣٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١).

(٣٤) الواقدي (٣/ ٨٩٣).

(٣٥) الواقدي (٣/ ٨٩٥ - ٨٩٧) وقد انفرد بتفاصيل عن عدد الألوية وحملتها من قبائل العرب.

(٣٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام (٤/ ١٢١).

(٣٧) انظر مسلم (٢/ ٧٧٣/ح ١٠٥٩). والمجنبة هي الكتيبة التي تأخذ جانب الطريق. وهما مجنبتان/ ميمنة وميسرة، بجانب الطريق، والقلب بينهما وعند ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١) أن المجنبة هي الميمنة، وانظر: الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ - ٨٩٧).

(٣٨) الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ - ٨٩٧).

وأمطرتهم بوابل من السهام التي لا تكاد تخطئ أحدا[٣٩].

ولم يكن المسلمون يتوقعون هذا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فولوا مدبرين، لايلوي أحد على أحد[٤٠]. وانحاز الرسول ﷺ ذات اليمين وهو يقول: «أين الناس؟ هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد ابن عبدالله[٤١]». ومما يدل على عدم توقع المسلمين لمثل هذه الخدعة أن بعضهم قد خرجوا خفافا عجلين دون استعداد حربي كامل، لا سيما بعض الشباب الذين خرجوا حاسري الرؤوس، وليس معهم السلاح الكافي[٤٢].

وكان أول من أدبر خيالة المسلمين، ثم المشاة، وفر معهم الطلقاء والأعراب، ثم بقية الجيش حتى لم يثبت مع الرسول ﷺ أحد سوى أبي سفيان بن الحارث[٤٣] وجماعة قليلة[٤٤].

---

(٣٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٤٤/ح ٤٣١٧)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ - ١٤٠١/ح ١٧٧٦).

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٤٠/ح ٤٣١٥)، مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥. ١٧٧٦)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١ - ١٢٢).

(٤١) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١ - ١٢٢).

(٤٢) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٤/ح ٢٩٣٠)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ - ١٤٠١/ح ١٧٧٦).

(٤٣) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٤/ح ٢٩٣٠) و(١٦/ ١٤٠/ح ٤٣١٥)، مسلم (٢/ ٧٣٧/ح ١٠٥٩)، صحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (٢/ ١٣٧): «وقال صحيح». ويفهم من روايات البخاري ومسلم والترمذي أنه لم يبق إلا الرسول ﷺ وحده ومعه أبوسفيان بن الحارث، آخذ برأس بغلته البيضاء، أما أهل المغازي والسير فقد ذكروا أقوالا مختلفة حول عدد من ثبت مع رسول الله ﷺ عندما انهزم الناس، قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤١): «ولذا يمكن الجمع بين أخبار الصحيحين وغيرهما من أخبار أهل السير بأن المراد أن الرسول ﷺ بقي وحده متقدما مقبلا على العدو عندما انهزم الناس والذين ثبتوا معه كانوا وراءه. أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال وأبوسفيان ابن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة وغير ذلك» قلت: ويضاف إلى هذا أن الإرتباك جعل من الصعب على أهل البأس أن يصلوا إلى مكان الرسول ﷺ وأخذ ذلك منهم زمنا حتى وصلوه فردا فردا، حتى وصل العدد إلى قريب من مائة، ثم انتبه بقية الناس إلى نداء النبي ﷺ والعباس فجاءوا مسرعين من كل جانب، فنظموا صفوفهم وحملوا على العدو.

(٤٤) هذا قول بعض أهل الحديث وأهل السير، ومثال ذلك ما روى ابن إسحاق: «... إلّا انه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبوبكر وعمر، ومن أهل بيته علي، والعباس، وأبوسفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث، وأسامة، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد؛ قتل يومئذ»، انظر: ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢٢). وقال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤١ - ١٤٢): «وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة انه لم يبق معه إلا أربعة نفر: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم، علي والعباس بين يديه وأبوسفيان آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون من المهاجرين والأنصار... وممن ذكر الزبير بن بكار وغيره أنه ثبت يوم حنين أيضا: جعفر بن أبي سفيان بن الحارث وقثم بن العباس، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وعبدالله بن الزبير ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وشيبة ==

ومما يدل على الدور الكبير للطلقاء في هذه الهزيمة أن أم سُلَيم بنت مِلْحَان طلبت من الرسول ﷺ أن يقتلهم بحجة أنهم انهزموا عنه، فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم سليم. إن الله قد كفى وأحسن»(٤٥).

كان الرسول ﷺ يمتطي بغلة له بيضاء ـ أو شهباء ـ تسمى دلدل، وهو يركضها وسفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله ﷺ وعمه العباس آخذ بلجام البغلة يكفانها عن الإسراع نحو العدو(٤٦). وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغي وقد انكشف عنه جيشه، وهو على بغلة، وليست سريعة الجري، ولا تصلح للكر ولا للفر ولا للهرب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من يعرفه، وما هذا إلا ثقة بالله وتوكلٌ عليه وعلم منه بأنه سينتصر ويظهر دينه على سائر الأديان(٤٧).

وأمر الرسول ﷺ عمه العباس ـ وكان قوي الصوت ـ أن ينادي الناس بالثبات، وخص منهم أصحاب بيعة الرضوان، فأسرعوا إليه كما تسرع الأمهات إلى أولادها، ثم خص الأنصار بالنداء، ثم بني الحارث بن الخزرج، فطاروا إليه قائلين: لبيك لبيك، ودارت المعركة قوية ضد هوازن(٤٨)، ونزل الرسول ﷺ عن بغلته وهو يدعو(٤٩) الله أن ينصرهم،

= =

ابن عثمان بن الحجبي». وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن: «لقد رأيتنا يوم حنين وأن الناس لمولّون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل». انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١)، وصحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (٢/ ١٣٧) وقال: «صحيح». ووقع في رواية أبي نعيم في الدلائل [لم أقف عليه] تفصيل المائه: بضعة وثلاثون من المهاجرين والبقية من الأنصار ومن النساء أم سليم وأم حارثة. (ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١). وانظر أحمد في مسنده (١/ ٤٥٤) من حديث ابن مسعود أنهم ثمانون، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٠)، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة».

(٤٥) مسلم (٣/ ١٤٤٢/ح ١٠٨٩). وفي الحديث أم سليم كانت تحمل خنجرا في هذه الغزوة فرآه زوجها أبوطلحة فأخبر الرسول ﷺ ، فسألها الرسول ﷺ عن سبب حملها له، فقالت: «أتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فضحك رسول الله ﷺ».

(٤٦) مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥).

(٤٧) انظر ابن كثير: التفسير (٤/ ٧٠).

(٤٨) مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن وبقريب منه ـ ابن هشام (٤/ ١٢٥)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، بإسناد صحيح.

(٤٩) ومن دعائه أيضا في تلك اللحظات: «إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢١) وقال عنه ابن كثير في البداية (٤/ ٣٦٦): «إسناده ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه».

وقال: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبدالمطلب[٥٠]»، وأخذ يقاتل والصحابة يقاتلون معه ويتقون به لشجاعته وثباته كعادتهم في مثل هذه المواقف العصيبة[٥١]. وعندما رأى الفارون موقفه وثباته وسمعوا صوت العباس يناديهم جاؤوا مسرعين ملبين الدعوة قائلين لبيك لبيك، حتى إن من لم يستطع أن يثني بعيره يتركه ويأخذ درعه وسيفه ورمحه حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ويجالد الأعداء. قال الرسول ﷺ عندما رأى المعركة تشتد: «هذا حين حمي الوطيس[٥٢]»، ثم أخذ حصيات، أو ترابا، فرمى به وجوه الكفار، وهو يقول: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، والرسول ﷺ يقول: «انهزموا ورب محمد»، وفي رواية أخرى، «انهزموا ورب الكعبة ـ مرتين»[٥٣].

وفي ضوء هذه الكيفية التي انهزم بها المشركون والمعجزة التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ يفهم قول الله تعالى: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا﴾[٥٤][٥٥]. فقد حكى أحد أفراد جيش هوزان أنهم عندما أرادوا الوصول إلى الرسول ﷺ حال بينهم وبينه رجال حسان الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه، فارجعوا، فهزموا من ذلك الكلام[٥٦].

وحكى شيبة بن عثمان أنه عندما أراد قتل الرسول ﷺ ثأرا لأبيه وعمه اللذين قتلهما علي يوم بدر، رفع له شواظ من نار حال بينه وبين الرسول ﷺ، كأنه البرق، فخاف أن يحرقه، فوضع يده على بصره وتقهقر، والتفت إليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يدنو منه، فدنا منه، فقال اللهم

---

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٦/١٤٢/ح ٤٣١٥)، مسلم (٣/١٤٠٠/ح ١٧٧٦).
(٥١) مسلم (٣/١٣٩٨ ـ ١٣٩٩/ح ١٧٧٥)، ابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (٤/١٢٥).
(٥٢) مسلم (٣/١٣٩٩/ح ١٧٧٥)، ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/١٢٥) وعنده «الآن حمي الوطيس».
(٥٣) مسلم (٣/١٣٩٩/ح ١٧٧٥، ١٧٧٧).
(٥٤) التوبة: ٢٦.
(٥٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٨٦ ـ ١٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٠ ـ ٧٢).
(٥٦) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية جعفر بن سليمان، وقال «إسناده جيد»، والواقدي (٣/٩٠٦ ـ ٩٠٧) من طريق آخر.

أذهب عنه الشيطان، فقذف الله الإيمان في قلبه، وطلب منه الرسول ﷺ أن يقاتل الكفار[٥٧]. وفي رواية أخرى أن شيبة قال للرسول ﷺ: يارسول الله، إني أرى خيلا بُلْغا، فقال له الرسول: «يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر» فضرب على صدره ثم قال: «اللهم اهد شيبة ـ ثلاثا، فانقلب بغض الرسول حبا عظيما»[٥٨].

وروى ابن إسحاق[٥٩] من حديث جُبير بن مُطْعِم أنه رأى قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الكساء الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بينهم وبين القوم، فنظر فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم يشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

لم يثبت المشركون طويلا في هذه الجولة الثانية من القتال، ففروا في نهاية اليوم مخلفين وراءهم كثيرا من القتلى والأموال[٦٠]، وكان الرسول ﷺ قد أمر بتعقب الفارين وجزهم[٦١] لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى، ولذا عندما فرغ من حنين بعث أبا عامر ـ عُبَيْد بن سليم بن حضار الأسلمي ـ على جيش الى أَوْطَاس[٦٢] لقتال الكفار الذين عليهم دريد بن الصمة، فجالدهم عامر حتى استشهد، وطلب من أبي موسى الأشعري، الذي خلفه في القيادة، أن يبلغ الرسول ﷺ سلامه وأن يطلب منه أن يستغفر له، فأكمل الأشعري المهمة وهزم الله على يديه الأعداء، وبلغ رسالة عامر، فدعا الرسول ﷺ لأبي عامر[٦٣].

---

(٥٧) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية الوليد بن مسلم، وقال غريب جدا، وفيه أبوبكر الهذلي، وهو ضعيف، وابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٥٠) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥)، وابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٢٤)، والواقدي (٣/ ٩٠٩ ـ ٩١٠)، وهذا يدل على أن للقصة أصلا، وتشهد لها الأحاديث الصحيحة في أمر قذف الحصى في وجوه الأعداء وانهزامهم، ورواية جعفر بن سليمان الجيدة.

(٥٨) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٤، والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦). وفي إسناد هذه الرواية أبوبكر الهذلي، وهو متروك، فالإسناد ضعيف جدا.

(٥٩) رواه بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١٣١). والمنقطع ضعيف كما قلنا

(٦٠) انظر مثلا: ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

(٦١) من رواية البزار في كشف الأستار (٢/ ٣٤٩) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨١): «رواه البزار ورجاله ثقات».

(٦٢) أوطاس: واد في ديار هوزان ـ كما في معجم البلدان (١/ ٢٨١).

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٦/ح ٤٣٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٤٣/ح ٢٤٩٨).

وفي رواية أنه عندما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستمائة نفس إلى جبيل أو أكمة، فلحق بهم الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين فقضوا على ثلاثمائة منهم، منهم دريد بن الصمة نفسه[٦٤].

والذي نرجحه أن الزبير بن العوام كان في جماعة أبي عامر فباشر قتل ابن الصمة، لأن رواية البخاري لم تبين القاتل، وقيل إن الذي قتله ربيعة ابن رقيع[٦٥]، وقيل عبدالله بن قنيع[٦٦].

لقد انجلت المعركة عن نصر مبين للمسلمين، ومقتل وجرح عدد كبير من هوزان وثقيف. فقد روي أن قتلى بني مالك من ثقيف لوحدها قد بلغ سبعين قتيلا[٦٧]، ولم يقتل من الأحلاف سوى رجلين، أحدهما من بني غِيَرَة والآخر من بني كُبَّة[٦٨]. وقتل بأوطاس من بني مالك ثلثمائة ومعهم دريد ابن الصمة، كما ذكرنا، وقتل خلق كثير من بني نصر بن معاوية ثم من بني رِئاب، حيث استحر فيهم القتل، حتى قال عبدالله بن قيس ـ وكان مسلما: «يا رسول الله، هلكت بنو رئاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مصيبتهم»[٦٩].

وعندما لجأ المشركون إلى أوطاس ولحق بهم المسلمون، قتل أبوعامر وحده تسعة إخوة منهم قبل أن يستشهد، وقتل أبو موسى الأشعري أخوين من بنى جُشَم بن معاوية[٧٠]. وقتل أبوطلحة وحده يوم حنين عشرين رجلا من

---

(٦٤) كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٨): «رواه البزار، وفيه عليّ ابن عاصم وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات». وحسن ابن حجر هذا الحديث كما في الفتح (١٦/ ١٥٦).

(٦٥) ابن إسحاق، بإسناد معلق ـ ابن هشام (٤/ ١٣٦) وقد جزم بذلك.

(٦٦) المصدر نفسه (٤/ ١٣٨)، ورواه بصيغة التمريض «ويقال».

(٦٧) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٢) ونسبه إلى البخاري في التاريخ الكبير عن أبي عاصم، وفيه أن من قتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر. قلت: وأهل الطائف هم ثقيف. وقتل بدر من المشركين كانوا سبعين كما ذكرنا ذلك في مكانه ـ ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٢) ورواه من طريق الطبري في التاريخ (٣/ ٧٨) بإسناد معضل، لان يعقوب بن عتبة من صغار التابعين.

(٦٨) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٣).

(٦٩) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٩)، وابن سعد (٢/ ١٥٢) معلقا، والواقدي (٣/ ٩١٦) وعند الواقدي وابن سعد «بني رباب» بدلا من «بني رئاب» كما هو عند ابن إسحاق.

(٧٠) ابن هشام، بإسناد منقطع (٤/ ١٤٢).

المشركين وأخذ سلبهم، لأن رسول الله ﷺ قد أباح سلب المشرك لقاتله[٧١].

ونهى رسول الله ﷺ يومذاك عن قتل النساء والأطفال والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، وذلك عندما مر بامرأة قتلها خالد بن الوليد[٧٢] والناس متزاحمون عليها، وقال: «ما كانت هذه تقاتل»[٧٣].

أما بالنسبة للسبي والغنائم فقد روي أن سبي حنين قد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء[٧٤]، وأن الأموال كانت أربعة آلاف أوقية فضة، وأن الإبل كانت أربعة وعشرين ألفا، وأن الشياة أكثر من أربعين ألف شاة[٧٥].

وحبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجِعْرَانَة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف، كما سنرى.

وروي أن الشَّيماء بنت الحارث كان ممن وقع في الأسر، فادعت أنها أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، فقال لها الرسول ﷺ: «وما علامة ذلك؟»، قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف الرسول ﷺ العلامة، فمتعها وردها إلى أهلها كما طلبت[٧٦].

وروي أن أمه من الرضاعة ـ حليمة السعدية ـ جاءته، فأكرمها وبسط

---

(٧١) أبوداود: السنن (٣/١٦٢/ل. الجهاد/ ب. في السلب يعطى القاتل/ح ٢٧١٨)، وقال: «هذا حديث حسن»، والحاكم (٢/ ١٣٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وسكت عنه الذهبي. وإباحة سلب المشرك لقاتله في البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٠/ح ٤٣١٢).

(٧٢) ابن إسحاق، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٧٣) من رواية الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢) وصححه وأقره الذهبي ولكن لم يعين الغزوة. وأحمد في المسند: الرباني (١٤/ ٦٤) وأبي داود في السنن (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢/ ك. الجهاد/ ب. في قتل النساء/ح ٢٢٦٩) والبوصيري في المصباح (٢/ ٤١٨): وقال «هذا إسناد صحيح، المرقع بن صيفي ذكره ابن حبان في الثقات ولم أر من جرحه». فيكون الحديث حسنا لحال المرقع هذا علما بأن الغزوة لم تعين في هذه الطرق. وفي الحديث النهي عن قتل الأصناف المذكورة. قال الدعاس ـ محقق سنن أبي داود: «وأخرجه ابن ماجه حديث (٢٨٨٢) ونسبة المنذري للنسائي أيضا».

(٧٤) عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٨١)، وابن سعد (٢/ ١٥٥) من رواية الزهري عن ابن المسيب، مرسلا، والذهبي: المغازي، ص٦٠٦، من رواية الزهري عن ابن المسيب مرسلا، الطبري: التاريخ (٤٣/ ٨٢) من رواية ابن هشام وعروة عن أبيه، مرسلا، وبصيغة التمريض «يزعمون» وابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٨٣).

(٧٥) ابن سعد (٢/ ١٥٢) معلقا. وقال ابن إسحاق عن الإبل والشاء إنه لا يدري كم عددها ـ ابن هشام (٤/ ١٨٣).

(٧٦) ابن إسحاق، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١٤٤)، والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من مرسل قتادة، وفيه الحكم بن عبدالملك، ضعفه ابن معين: التاريخ (٢/ ١٥٢/رقم ١٣٢٢)، إذ قال فيه: «ليس بشيء».

لها ثوبه لتجلس عليه[٧٧].

وكانت خسارة المسلمين طفيفة جدا. فقد استشهد أربعة منهم، هم: أبوعامر الأسلمي، وأيمن بن عُبَيد، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود، وسُرَاقَة ابن الحارث[٧٨]. وجرح عدد منهم، منهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي[٧٩] وعبدالله بن أبي أوفى[٨٠] وخالد بن الوليد[٨١].

عندما انهزمت هوزان وثقيف وأحلافهم تفرقوا في الأودية والجبال، فلجأت ثقيف بقيادة مالك بن عوف إلى حصونها بالطائف، ولجأ آخرون إلى وادي أوطاس، وانحاز بنو غيرة إلى نخلة. وقد تبعت خيل المسلمين من سلك إلى نخلة، ولم تتبع من سلك إلى الثنايا[٨٢].

المبحث الثاني: غزوة الطائف:

بعد أن تعقب المسلمون فلول الهاربين من هوزان في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على ثقيف التي فرت من حنين وأوطاس وتحصنت بحصونها المنيعة في الطائف وأغلقت أبوابها بعد أن جمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية للصمود لمدة عام، واتخذت وسائل دفاعية تمكنها من الصمود مدة طويلة، ورمت حصونها وأوفدت عُرْوَة بن مسعود وغَيْلان بن سَلَمَة إلى جُرَش ليتعلما

---

(٧٧) الطبري: التفسير (١٠/ ١٠١)، من مرسل قتادة بإسناد حسن، وابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٢٧٠) من مرسل عطاء بن يسار، البخاري: الأدب المفرد (٤٤٠)، وأبوداود: السنن (٥/ ٣٥٣ - ٣٥٤/ك. الأدب. في بر الوالدين/ح ٥١٤٤ - ٥١٤٥). والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من حديث أبي الطفيل، وفي إسناده مجاهيل، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، (١٦٤) وصححه، أبوداود: المراسيل بإسناد معضل كما في البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٤٠٨). وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٤٠٨): «وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه، والله أعلم بصحته».

(٧٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٤٥).

(٧٩) البزار: كشف الأستار للهيثمي (٢/ ٣٤٦) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٥٦/ شرح الحديث ٤٣٢٣)، ووصف متنه بأنه منكر. وانظره في مختصر زوائد البزار، ص ٤٩ - ٥٠، رقم ٨١٦.

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٩ - ١٤٠/ح ٤٣١٤).

(٨١) الحميدي: المسند (٢/ ٣٩٨) بإسناد صحيح.

(٨٢) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ١٣٦).

صنعة الدَّبابات[٨٣] والمجَانيق[٨٤]، والضُّبُور[٨٥]، ولذا لم يحضرا حنينا مع قومهما[٨٦].

ووصل المسلمون إلى حصون الطائف في نحو نهاية الأسبوع من شوال كما يستنتج من وقائع الأحداث[٨٧]، ونزلوا قريبا من حصونهم ثم تحولوا إلى منطقة أكثر بعدا من مدى سهام ثقيف التي تسببت في استشهاد اثنى عشر مسلما وجرح عدد منهم[٨٨]، وبنوا فيها مسجدا، يعرف اليوم بمسجد عبدالله ابن عباس، وكانت الطائف آنذاك جنوبي غربي المسجد[٨٩].

ولما كان القتال تراشقا بالسهام على بعد، استخدم المسلمون «الدبابة[٩٠]» ليحتموا بها من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن فيثقبوه، وعندما رأتهم ثقيف، ألقت عليهم قطعا من حديد محماة فأحرقت «الدبابة»، فخرج أصحابها من تحتها فأصابوهم بالسهام، فقتلوا منهم رجالا[٩١].

واستخدم المسلمون المجانيق في رمي أهل الطائف، وهم أول من رمى في الإسلام المجانيق[٩٢]. وقد بذلوا الوسع في الرمي به، لا سيما وقد وعدهم الرسول ﷺ درجة في الجنة عندما قال لهم: «من بلغ سهم فله درجة في

---

(٨٣) الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود، ويدخل فيها الرجال، ويتصلون بحائط فينقبون عن أهله.

(٨٤) أنظر وصفها في كتاب «الرسول القائد» للواء ركن محمود شيت خطاب، ص ٢٥٤.

(٨٥) الضبور: شيء يُتَّقي به عند الانصراف.

(٨٦) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٠ - ١٧١)، ابن سعد (٢/ ١٥٨) معلقا. والمعلق ضعيف.

(٨٧) سبق القول إنهم وصلوا حنينا في العاشر من شوال وكانت المعركة في اليوم الحادي عشر منه، وتعقبوا فلول المنهزمين لمدة اسبوع تقريبا ثم ساروا إلى الطائف عبر طريق طويلة، فيكون وصولهم إليها في نحو نهاية الأسبوع الثالث.

(٨٨) ابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب - ابن هشام (٤/ ١٧٥ - ١٧٦)، ابن سعد (٢/ ١٥٨) معلقا، وقد حدد عدد القتلى بينما أطلقه ابن إسحاق.

(٨٩) البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة، ص ص ٢١٣ - ٢١٤، ٣١٦.

(٩٠) آلة من الخشب السميك المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة، يدخل فيها الرجال، فيدبون بها الأسوار لينقبوها.

(٩١) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٩٢) ابن هشام، باسناد منقطع (٤/ ١٧٦)، أبوداود: «المراسيل»، طبعة محمد علي صبيح، مصر، ص ٣٧، بإسناد صحيح إلى مكحول، وبإسناد آخر إلى عكرمة مولى ابن عباس، وقد احتج الشافعي بهذه الواقعة - انظر الشافعي: الأم (٤/ ١٦١)

الجنة»[٩٣].

وقد تباينت الروايات الضعيفة فيمن جلب المجانيق أو صنعها، فهناك من يذكر أنه خالد بن سعيد، ومن يذكر أنه سلمان الفارسي، ومن يذكر أنه الطفيل بن عمرو[٩٤].

وفي محاولة لإضعاف معنويات ثقيف، شرع المسلمون في حرق بساتين نخيلهم وعنبهم، فناشدوه أن يدعها لله وللرحم، فاستجاب لهم، بعد أن حققت المحاولة أهدافها[٩٥].

ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون، منهم أبوبَكْرَة ـ نُفَيع بن مَسْرُوح ـ الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم[٩٦].

وعندما استعصى الحصن على المسلمين واستشهد اثنا عشر رجلا[٩٧]، بينما لم يقتل من المشركين سوى ثلاثه[٩٨]، دعا رسول الله ﷺ إلى فك الحصار، فثقل ذلك على المسلمين واستنكروه، وعندما كثرت فيهم الجراحات، ودعاهم الرسول ﷺ إلى فك الحصار مرة أخرى، أعجبهم ذلك، فتبسم

---

(٩٣) أحمد: المسند (٤/ ١١٣، ٣٨٤) بإسناد صحيح، إذ صرح قتادة فيه بالتحديث عند البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦١)، والترمذي: السنن (٥/ ٣٥٤/ ل. الجهاد/ ب. ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله/ح ١٦٣٧ ـ ١٦٣٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٦/ ٢٧/ ك. الجهاد/ ب. ثواب من رمى بسهم في سبيل الله).

(٩٤) جزم الواقدي (٣/ ٩٢٧، ٩٢٣) مرة بأن سلمان الفارسي عمل المنجنيق بيده ومرة أخرى بأن الطفيل بن عمرو قدم بدبابة ومجانيق عندما عاد من مهمته الخاصة بهدم صنم عمرو بن حممة ـ ذي الكفين. ثم ساق أقوالا أخرى بصيغة التمريض فقال: «ويقال قدم المجانيق يزيد بن زمعة ودبابتين، ويقال الطفيل بن عمرو!! ويقال خالد بن سعيد قدم من جرش بمجانيق ودبابتين». والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها لدك الحصون ومن فيها. وهي لفظة معربة.

(٩٥) البيهقي: السنن (٩/ ٨٤) باسناده مرسلا إلى موسى بن عقبة وعروة وفيه مجاهيل، وابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب ـ ابن هشام (٤/ ١٧٧).

(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦١/ح ٤٣٢٦، ٤٣٢٧) ولم يذكر إسلامهم، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٠١/ح ٩٦٨٢) والطبراني كما في المجمع (٤/ ٢٤٥)، وقال: «رجاله رجال الصحيح»، ابن سعد (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩) معلقا، الواقدي (٣/ ٩٣١) وعندهما أنهم بضعة عشر رجلا، ذكر الواقدي أسماء تسعة منهم وأسيادهم. وسُمِّيَ نفيع بن مسروح بأبي بكرة لأنه نزل من الحصن ببكرة.

(٩٧) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٧٩)، ابن سعد (٢/ ١٥٩) معلقا، الواقدي (٣/ ٩٣٢)، أحمد: المسند (١/ ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطاة، صدوق مدلس، وقد عنعن.

(٩٨) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٨٠ ـ ١٨٢) وقد سماهم ونسبهم.

الرسول ﷺ، فارتحلوا[٩٩]، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم ويرفض طلب بعض المسلمين في الدعاء عليهم ويدعو لهم قائلا: اللهم اهد ثقيفا[١٠٠]»، ويروى أن الله لم يأذن له في أهل الطائف[١٠١].

لقد تباينت الروايات حول المدة التي قضاها الرسول ﷺ في حصار الطائف. فيرى عروة وابن عقبة[١٠٢] أنها كانت بضع عشرة ليلة، وفي رواية عن عروة أنها كانت نصف شهر.[١٠٣] ويذكر ابن إسحاق[١٠٤] مرة أنها بضع وعشرون ليلة، ومرة أنها ثلاثون ليلة أو قريب من ذلك[١٠٥]. ويذكر ابن هشام[١٠٦] أنها سبع عشرة ليلة، ويروي مسلم[١٠٧] وأحمد[١٠٨] أنها أربعون يوما.

والذي يكاد يتفق مع مجريات الأحداث هو ما ذكره موسى بن عقبة وعروة ابن هشام، ومافي الصحيح أصح.

عاد الرسول ﷺ مرة أخرى إلى الجعرانة حيث ترك غنائم حنين قبل أن يتحرك لحصار الطائف. وعندما عاد لم يقسم هذه الغنائم سوى بعض الفضة[١٠٩]، واستأنى بها بضع عشرة ليلة، آملا في قدوم هوازن عليه ودخولها

---

(٩٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٩ - ١٦٠/ح ٤٣٢٥)، مسلم (٣/ ١٤٠٢ - ١٤٠٣/ح ١٧٧٨).

(١٠٠) الترمذي: السنن (٩/ ٤٢٣/ ل. المناقب/ ب. في ثقيف وبني حنيفه/ ٣٩٣٧) وقال: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص ٤٣٢: «صحيح على شرط مسلم لولا عنعنة أبي الزبير - راويه - وهو مدلس»، ابن سعد (٢/ ١٥٩) معلقا، ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/ ١٨٣) وزاد فيه: «... وَأتِ بهم» وفي حديث عروة من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود - مرسلا كما في مغازي الذهبي، ص ٥٩٦، وقال: «اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم».

(١٠١) من حديث عروة من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود ومن حديث موسى بن عقبة من رواية ابن أخيه - مرسلا - كما في مغازي الذهبي ص ٥٩٢، ورواية ابن سعد (٢/ ١٩٥) من حديث الحسن البصري - مرسلا - وابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٨).

(١٠٢) البيهقي: (دلائل النبوة (٥/ ١٥٧) والسنن الكبرى (٩/ ٨٤) بإسناد مرسل، وفي سند عروة أبوعلاثة - محمد بن عمرو بن خالد - وفي سند موسى بن عقبة أبوعتاب - محمد بن عبدالله، ولا توجد لهما ترجمة.

(١٠٣) الطبري: التاريخ (٣/ ٨٢) بإسناد مرسل حسن.

(١٠٤) ابن هشام (٤/ ١٧٦) مرسلا من حديث عمرو بن شعيب.

(١٠٥) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ١٦٩) باسناد مرسل حسن إلى شيخيه، ولم يسم شيخاه من حدثهما.

(١٠٦) السيرة (٤/ ١٧٦) معلقا وبصيغة التمريض: «يقال».

(١٠٧) الصحيح (٢/ ٧٣٦/ح ١٠٥٩) من رواية السميط.

(١٠٨) المسند (٣/ ١٥٧) من رواية السميط، ولم يوافق ابن كثير على هذه المدة، فقال: «وإنما حاصروها قريبا من شهر ودون العشرين ليلة»: البداية والنهاية (٤/ ٣٩٩).

(١٠٩) الحاكم: المستدرك (٢/ ١٢١) وصححه وسكت عنه الذهبي.

في الإسلام[١١٠]، ثم وزعها بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئا. فقد أعطى مائة من الإبل لكل من عُيَينة بن حِصْن ـ من زعماء غطفان ـ والأقرع بن حَابس ـ من زعماء تميم ـ وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة والعباس بن أمية ـ من زعماء قريش[١١١]. وقد أحصى ابن إسحاق[١١٢] اثنى عشر رجلا ممن نال مائة من الإبل، ستة منهم ذكرهم البخاري ومسلم. وممن زادهم على ما في البخاري ومسلم: معاوية بن أبي سفيان، والحارث ابن الحارث، ومالك بن عوف، والعلاء بن جَارِيَة، والحارث بن هشام، وحُويطِب بن عبد العزى، ولم يذكر من قائمة البخاري ومسلم: عَلْقَمة بن عُلاَثَة والعباس بن مِرْدَاس وذكر خمسة ممن أعطوا أقل من مائة[١١٣].

وأورد ابن هشام[١١٤] قائمة بأسماء تسعة وعشرين رجلا من المؤلفة قلوبهم ممن أعطوا من غنائم حنين، ولم يحدد عدد الإبل التي نالها كل واحد منهم. وهناك من أوصل عددهم إلى سبعة وخمسين رجلا[١١٥].

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفة قلوبهم لحكمة وضحها الرسول ﷺ للأنصار عندما غضبوا من هذا التوزيع وحرمانهم من الغنيمة، وبلغ الرسول ﷺ قول بعض أحداثهم: «إذا كانت الشدة ندعى، وتعطى الغنائم غيرنا»، أو «يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!»[١١٦]، فجمعهم وقال لهم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبوا برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، يارسول الله رضينا. فقال: «لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شِعْبًا، لأخذت شِعْب الأنصار»[١١٧]،

---

(١١٠) البخاري/ الفتح (١٦/١٤٦/ح ٤٣١٨، ٤٣١٩)، وقد أورد الذهبي في مغازيه، ص٦٠٥، هذا الحديث وفيه أنه انتظرهم تسع عشرة ليلة، ولم نجد هذا التحديد في المطبوع من الصحيح. وعند الواقدي (٣/٩٥٨) أنها ثلاث عشرة ليلة.

(١١١) البخاري/ الفتح (١٦/١٧١/ح ٤٣٣٥)، مسلم (٢/٧٣٧/ح ١٠٦٠) وانظر: ابن حجر الفتح: (١٦/١٧٢).

(١١٢) ابن هشام (٤/١٩٠) معلقا.

(١١٣) ابن هشام (٤/١٩٠ ـ ١٩١) ـ معلقا.

(١١٤) السيرة (٤/١٩٢ ـ ١٩٤) بإسناد منقطع، إذ لم يسم من حدثه، وبقية رجاله ثقات.

(١١٥) انظر الدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص٦٤٩.

(١١٦) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٧/ح ٣١٤٧)، مسلم (٢/٧٣٣ ـ ٧٣٥/ح ١٠٥٩).

(١١٧) البخاري/ الفتح (١٦/١٧٠/ح ٤٣٣١ ـ ٤٣٣٤، ٤٣٣٧)، مسلم (٢/٧٣٥ ـ ٧٣٦/ح ١٠٥٩). ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته ـ ابن هشام (٤/٢٠٠).

وقال في رواية: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصار شِعَار والناس دِثَار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار. . .»[118] وقال: «إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم، وأَكِلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم»[119]، وقال: «إني لأعطي رجالا حَدِيثٌ عهدهم بكفر»[120]، وفي رواية «إن قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»[121]، وقال: «أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، . . . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»[122] وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يكب في النار على وجهه»[123].

وعندما سمع الأنصار ما قاله لهم الرسول ﷺ عرفوا الحكمة من ذلك التقسيم، وبكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم، وقالوا: «رضينا برسول الله قَسْمًا وحَظًّا»[124].

واتضحت لهم الحكمة عمليا عندما رغب هؤلاء المؤلفة قلوبهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد، إلا القليل جدا منهم، مثل عيينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس. وقد عبر عن هذه الظاهرة الإمام مالك ابن أنس[125]، قائلا: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم

---

(١١٨) مسلم (٢/ ٧٣٩/ح ١٠٦١) والشعار الثوب الذي يلي الجسد والدثار ثوب فوقه، يعني أن الأنصار هم الخاصة والبطانة والأصفياء وألصق الناس به من سائرهم.

(١١٩) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧/ح ٣١٤٥).

(١٢٠) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٨/ح ٣١٤٧)، مسلم (٢/ ٧٣٣ - ٧٣٤/ح ١٠٥٩).

(١٢١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧١/ح ٤٣٣٤)، مسلم (٢/ ٧٣٥/ح ١٠٥٩)

(١٢٢) من رواية ابن اسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ١٩٩)، وروى الدعاء البخاري/ الفتح/ ٢٦١ وما بعدها/ ك. مناقب الأنصار ومسلم (٤/ ١٩٤٨/ح ٢٥٠٦) وأحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٧٣ - ١٧٤). ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة هنا مع اختلاف في اللفظ عند البخاري.

(١٢٣) مسلم (٢/ ٧٣٣/ح ١٠٥٠).

(١٢٤) مسلم (٢/ ٧٣٤/ح ١٠٥٩)، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ٢٠٠)، وأصله في البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦٩/ح ٤٣٣١) ومسلم (٢/ ٧٣٤/ح ١٠٥٩).

(١٢٥) مسلم (٤/ ١٨٠٧/ح ٢٣١٢).

حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها». وعبر صفوان بن أمية عن التحول الذي حدث نتيجة لهذا الموقف الكريم من الرسول ﷺ، فقال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، ما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»(١٢٦). وكان حَكِيم بن حِزَام كلما أعطاه سأله المزيد، فوعظه الرسول ﷺ قائلا: «يا حكيم، إن هذا المال خَضِر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولايشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، فقال حكيم: «والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا»، فلم يأخذ عطاءه من بيت المال حتى توفي(١٢٧).

وعندما لم تتضح حكمة هذا التقسيم لدى بعض جفاة الأعراب ـ أيضا ـ قال أحدهم للرسول ﷺ: «يامحمد! اعدل»، فقال له الرسول: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فاستأذن عمر النبي ﷺ في ضرب عنقه، فقال له النبي ﷺ: معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي»(١٢٨). وازدحموا على الرسول ﷺ وهو يقسم الغنائم، حتى علق رداؤه بغصن شجرة، فقال: «اعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاة ـ شجر الشوك ـ نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا»(١٢٩). وجبذه أحدهم جبذة شديدة أثرت في عاتقه لخشونة البرد الذي كان عليه، وقال: «مر لي من مال الله الذي عندك»، فالتفت إليه الرسول ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء(١٣٠). ودل هذا الموقف من الأعراب على أن معظمهم إنما خرج للمغنم، ودل موقف الرسول ﷺ من تصرفاتهم على صبره وحكمته في تربية أمثال هؤلاء الأعراب.

---

(١٢٦) مسلم (٤/١٨٠٦/ح ٢٣١٣).

(١٢٧) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٥/ح ٣١٤٣)، مسلم (٢/٧١٧/ح ١٠٣٥). ويبدو أن الدكتور العمري قد سها عندما ذكر صفوان بن أمية بدلا من حكيم بن حزام ـ انظر: المجتمع ـ الجهاد، ص ٦١٦.

(١٢٨) مسلم (٢/٧٤٠/ح ١٠٦٣) وابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام(٤/١٩٥) واسم الرجل عنده: ذو الخويصرة التميمي.

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٨/ح ٣١٤٨)

(١٣٠) المصدر نفسه (ح ٣١٤٩).

بعدما فرغ الرسول ﷺ من توزيع الغنائم، قدم عليه وفد هوازن يعلن إسلامهم، ويطلب رد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم بين المال والسبي، فاختاروا السبي. فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، ومما قال لهم: «فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: طيبنا يارسول الله لهم. فقال: «إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا(١٣١)، سوى الأقرع بن حابس الذي تكلم باسم قبيلته تميم وعيينة بن حصن الذي تكلم باسم قبيلته فزارة، فوعدهم الرسول ﷺ بتعويضهم عنها(١٣٢).

وسأل الرسول ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف وطلب منهم أن يخبروه إن أتاه مسلما رد عليه أهله وماله ومنحه مائة من الإبل، وعندما أخبروه بذلك احتال في الخروج من الطائف، خشية أن يقتله قومه ثقيف، ولحق بالرسول ﷺ بالجِعْرَانة أو بمكة، فأعطاه الرسول ﷺ ما وعد به، وأسلم، وحسن إسلامه، فاستعمله الرسول ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا(١٣٣).

ومال بعض زعماء ثقيف للإسلام، منهم عُروة بن مسعود الثقفي، فلحق بالرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أداء العمرة، فأعلن إسلامه، وعاد داعيا إلى الإسلام في قومه، فقتلوه، ودفن مع شهداء المسلمين في حصار الطائف حسب وصيته(١٣٤).

---

(١٣١) المصدر نفسه (١٢/ ٢١٩/ح ٣١٣١، ٣١٣٢).
(١٣٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ١٨٥) ورواه غيره.
(١٣٣) ابن إسحاق، مرسلا - ابن هشام (٤/ ١٨٧)، الطبراني، من طريق ابن إسحاق كما في المجمع (٦/ ١٨٩) ورجاله ثقات، الطبري: التاريخ (٣/ ٨٨ - ٨٩) من طريق ابن إسحاق موصولا وفيه ابن حميد، فيه ضعف، ولم يصرح ابن اسحاق بالسماع، وبقية رجاله ثقات، وموسى بن عقبة في مغازيه كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢)، وأبوالاسود عن عروة في مغازي ابن عائذ باختصار ومرسلا كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢) طبعة دار الكتاب العربي/ بيروت.
(١٣٤) ابن إسحاق، معلقا، ابن هشام (٤/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

وبعد عودة الرسول ﷺ من تبوك في رمضان من العام التاسع، جاء وفد ثقيف معلنا إسلامهم، كما سنرى في خبر الوفود.

المبحث الثالث: أهم الأحكام المستنبطة من غزوتي حنين والطائف:

١ ـ جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، جاء ذلك عندما سأل الصحابة الرسول ﷺ في سبي أوطاس فنزلت الآية ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾[١٣٥][١٣٦].

٢ ـ النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين[١٣٧].

٣ ـ إقامة الحد في دار الحرب، فقد فعل ذلك النبي ﷺ بشارب الخمر في حنين[١٣٨].

٤ ـ منع المخنثين من الدخول على النساء الأجنبيات، وذلك عندما سمع الرسول ﷺ أحد المخنثين ـ في بيت أم سلمة ـ يصف بادية بنت غيلان الثقفي لأخيها عبدالله، ويطلب منه أن يحصل عليها، وذلك قبيل حصار الطائف، فقال ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن»[١٣٩].

٥ ـ جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم إذا رأى الإمام أن في ذلك سببا لدخولهم في الإسلام أو كف أذاهم أو فيه مصلحة للمسلمين.

٦ ـ تشريع العمرة من الجعرانة للداخل إلى مكة، كما فعل الرسول ﷺ بعد الفراغ من توزيع غنائم حنين[١٤٠]. أما الخروج من مكة إلى الجعرانة

---

(١٣٥) النساء: ٢٤.

(١٣٦) انظر في تفسيرها ابن كثير: التفسير (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
وانظر في هذا الأحاديث: مسلم (٢/ ١٠٧٩ ـ ١٠٨٠/ح ٣٣ ـ ٣٥/ ١٤٥٦) وغيرها.

(١٣٧) أحمد: المسند (٣/ ٤٨٨) وقد حسن الألباني إسناده في الإرواء (٥/ ٣٥)، الحاكم (٢/ ١٢٣) وصححه ووافقه الذهبي، أبوداود: السنن (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢، ١٢٣ ـ ١٢٤/ ك. الجهاد/ ب. في قتل النساء/ح ٢٦٦٩، ٢٦٧٢).

(١٣٨) أحمد المسند (٤/ ٣٥٠)، أبو داود: السنن (٤/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨/ ك. الحدود/ ب. إذا تتابع في شرب الخمر/ح ٤٤٨٧، ٤٤٨٨) وقال المحققان «في هذين الطريقين انقطاع» قلت: لم يصرح في الطريق الأول باسم الغزوة وصرح باسمها في الطريق الثاني/ح ٤٤٨٨) ورواه الدارقطني في السنن (٣/ ١٥٧ ـ ١٥٨) وفي إسناده عبدالله بن عبدالرحمن بن زاهر، وهو مقبول.

(١٣٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩/ح ٤٣٢٤) اللفظ له، مسلم (٤/ ١٧١٥/ح ٢١٨٠)، وغيرهما.

(١٤٠) البخاري/ الفتح (٨/ ٨٦/ح ١٧٧٨)، مسلم (٣/ ٩١٦/ح ١٢٥٣)، وغيرهما.

للإحرام منها فهو ما يفعله العوام وليس بسنة[١٤١].

٧ ـ التأكيد على إباحة سَلَب المشرك لقاتله.

٨ ـ جواز الاستفادة من أدوات الحرب التي يمتلكها المشركون، كما فعل الرسول ﷺ عندما استعار دروعا من صفوان بن أمية مع ضمانه لها، على أن لا يكون في ذلك أي تأثير على صبغة الحرب.

٩ ـ جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية[١٤٢].

١٠ ـ جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم، وهو أنكى لهم.

١١ ـ من كمال رأفته ورحمته ﷺ أن يدعو بالهداية لمن حاربوه وقتلوا جماعة من أصحابه، كما فعل الرسول ﷺ مع أهل الطائف ـ ثقيف[١٤٣].

١٢ ـ لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما بعد يوم، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات[١٤٤]، كما فعل الرسول ﷺ مع ذي الكَفَّين وإرسال أبي موسى الأشعري لهدمه ـ سيأتي ذكره في أول الفصل التالي.

١٣ ـ إن وادي وَجّ ـ هو واد بالطائف ـ ليس بحرم، وإن الأحاديث الواردة في أنه حرم ضعيفة[١٤٥].

---

(١٤١) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٤).

(١٤٢) و (٥) و (٦) و (٧)، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ ـ ٥٠٦).

(١٤٣) و (١٤٤) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ ـ ٥٠٦).

(١٤٥) انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني، الجهاد، حاشية ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.